دور بني أمية السياسي من فتح مكة وحتى استشهاد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ (8-34هـ/629-655م)

سطام زهير الخطيب(*)

ملخص

هذه دراسة لدور بني أمية السياسي من فتح مكة وحتى استشهاد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ (8-34هـ/629-655م)، وقد اشتملت على دراسة تمهيدية لبني أمية قبل الإسلام ولموقف زعماء بني أمية من الإسلام وللدور السياسي الذي لعبه بني أمية من فتح مكة وحتى استشهاد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ.

وخلصت الدراسة إلى ان بني أمية كان لهم دورٌ كبيرٌ وفعال في خدمة الإسلام فقد نالوا ثقة الرسول ﷺ ، وثقة الخلفاء الراشدين واظهروا براعة في قيادة الجيوش الإسلامية، وفي عملية الفتح الإسلامي، واستلموا ولايات قوية لها مكانتها وهذه الأسباب كانت وراء الغيرة والحسد الذي دفع أهل الأمصار لإثارة الفتن والثورة على بني أمية.

up to Martyrdom of the Caliph Uthman ibn Affan (8-34 AH / 629-655 AD)

Dr. Satam al-Khatib

Abstract

This is a study of the political role of the Umayyad conquest of Makkah, up to martyrdom of the caliph Osman ibn Affan may Allah be pleased with him (AH 8-34 / AD 629/655).

Included on the preliminary study of the Umayyad and the position of Islam by their leaders of political Islam and the role played by the Umayyad conquest of Mecca and up to martyrdom of the caliph Uthman ibn Affan may Allah be pleased with him.

The study concluded that the Umayyad had a big role and effectively in the service of Islam.and they won the confidence of the Prophet peace be upon him and the confidence of Alkhalafaou alrashideen and showed versatility in the leadership of the Islamic armies in the process of conquest and received strong mandates has its place and these reasons were behind the jealousy and envy that led scholars of the regions to stir up sedition and revolt against the Umayyad.

دور بني أمية السياسي من فتح مكة

وحتى استشهاد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ (8-34هـ/629-655م)

- مكانة بني أمية قبل الإسلام:

ينتسب الأمويون والهاشميون إلى جد واحد وهو (عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة)، وتمتع بنو عبد مناف بمركز الزعامة والسيادة في مكة لا يناهضهم فيه أحد من بطون قريش.

يقول ابن سعد (ت230هـ/844م) نقلاً عن محمد السائب الكلبي عن أبيه أنه قال: "ولد لعبد مناف ست نفر وست نسوة، وكان أكبرهم المطلب بن عبد مناف ، وهو الذي عقد الحلف لقريش من النجاشي في متجرها إلى أرضه، وهاشم بن عبد مناف واسمه عمرو، وعبد شمس بن عبد مناف وهو جد بني أمية، ومن البنات تماضر، حنة، قلابة، برّة، هالة، وأمهم عاتكة الكبرى بنت مرة بن هلال بن فالج بن ثعلبة بن ذكوان بن ثعلبة بن ابن سليم بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس عيلان بن مضر. ونوفل بن عبد مناف وهو الذي عقد الحلف لقريش من كسرى، وأبا عمرو بن عبد مناف وأبا عبيد درج وأمهم واقدة بنت أبي عدي وريطة بنت عبد مناف ولدت بني هلال بن معيط من بني كنانة بن خزيمة وأمها الثقفية"[1].

ترجع زعامة ورياسة بني عبد مناف لمكة إلى عهد جدهم قصي بن كلاب، الذي استطاع إقصاء زعامة مكة وتولي زمام الأمر فيها، يقول محمد ابن إسحاق (ت 151هـ/768م): "تولى قصى البيت وأمر مكة وجمع قومه من منازلهم إلى مكة وتملك على قومه وأهله فملكوه، فكان قصى أول بني كعب ابن لؤي أصاب ملكاً، أطاع به قومه، فكانت إليه الحجابة، السقاية، الرفادة، الندوة، اللواء، فحاز شرف مكة كلها"[2]، وقد جمع قصى في يده السلطتين الدينية، والدنيوية، وأصبحت له السيادة على مكة ولما كبرت سنه خص ابنه الأكبر عبد الدار بالرياسة وقد أعطاه أبوه قصي داره أي دار الندوة والتي لا تقضي قريش أمرًا من أمورها إلا فيها. وأعطاه الحجابة، السقاية، اللواء، والرفادة[3]. وبعد وفاة قصي بقيت الزعامة لأخيهم الأكبر عبد الدار ولم ينازعه إخوته في الزعامة والسيادة، وبعد وفاة ابن عبد الدار وعبد مناف، أجمع أولاد عبد مناف بن قصي، عبد شمس، هاشم، المطلب، نوفل، أن يأخذوا ما بأيدي أبناء عمهم من الزعامة ورأوا أنهم أولى بذلك لشرفهم وفضلهم في قومهم؛ وحصل أبناء عبد مناف على الرفادة والسقاية، وتسلم الزعامة هاشم بن عبد مناف لما كان يتمتع به من يسار وسعة رزق.

وقد حصل نزاع بين أمية بن عبد شمس وعمه هاشم على الزعامة والرياسة غير أن هذا النزاع كان عارضاً وقد كان أمية بن عبد شمس ذا مال[4] فتكلف أن يفعل كما فعل هاشم في إطعام قريش فعجز عن ذلك فشمت به الناس من قريش وعابوه لتقصيره فغضب وناحر هاشم على خمسين ناقة سود الحدق، تنحر بمكة وعلى الجلاء عشر

سنين[5]. وجعلا بينهما الكاهن الخزاعي وهو جد عمرو بن لحي وكان منزله عسفان وقضى لهاشم على أمية فاخذ الإبل ونحرها وأطعم لحمها لمن حضر وخرج أمية للشام فأقام بها عشر سنين وكان الاحتكام أمر طبيعي عند العرب.

وقد تضامن بنو هاشم وبنو أمية بن عبد شمس في حرب الفجار، وكانت قيادة قريش فيها لحرب بني أمية بن عبد شمس وقد حضر الرسول ﷺ هذه الحرب وهو شاباً يافعاً. وكان عمره عشرون سنة[6].

ـ موقف زعماء بني أمية من الإسلام في مكة والمدينة حتى الفتح.

عارض زعماء بني أمية الإسلام، منذ بداية الدعوة العلنية وذلك عندما جمع الرسول ﷺ أهل مكة وقال: بعد أن عدد الأفخاذ من قريش: "إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين وإني لا املك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيبًا إلاَّ أن تقولوا لا اله إلا الله"[7]، عندها غضبت قريش بما فيها بني أمية وأنكرت ذلك وظهر منها للرسول ﷺ الحسد والبغي واشخص به منهم رجال فبادروه وتستر آخرون بعضهم من بني أمية والآخرون من أفخاذ قريش الأخرى. وقد كان العاص بن سعيد بن العاص، والحكم بن أبي العاص، وعتبه وشيبه ابنا ربيعة، وأبو سفيان بن حرب بن أمية، أهل عداوة للرسول ﷺ،[8] ويذكر القرآن الكريم فئة من معارضي الرسول ﷺ ويدعوهم باسم المقتسمين فيقول سبحانه وتعالى مخاطباً الرسول ﷺ: **{وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ * كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ * الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ * فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ}**[9]، وهم الذين اقتسموا طرق مكة فكانوا يقفون فيها يصدون عن الإسلام ، هذا وقد قال المشركين في القرآن سحر وقال آخرون فيه كهانة وقال البعض الآخر انه من عمل شاعر[10]. ويرد ذكر المقتسمين أنهم كانوا سبعة عشر رجلاً من قريش اقتسموا أعقاب مكة فكانوا إذا حضروا الموسم يصدون الناس عن رسول الله ﷺ فنزلت فيهم الآية السابقة،[11] وكان فيهم من بني أمية ثلاثة نفر وهم، حنظله بن أبي سفيان، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس، وعندما علم الرسول ﷺ بأمر المقتسمين، أرسل شخصاً من أصحابه يقف إلى جانب الشخص الكافر الذي يصد عن الدعوة. هذا وقد كان عقبة بن أبي معيط بن أمية من اشد بني أمية عداوة للرسول ﷺ.

لم يكن موقف الأمويين قبل الإسلام مظلماً، بل كان هناك جانب مضيء وهو دخول أعداد من بني أمية في الإسلام مبكراً فقد هاجر سبعة نفر من بني أمية إلى الحبشة في الهجرة الأولى منهم عثمان بن عفان ﷺ، وخالد بن سعيد بن العاص ﷺ، وهما من أوائل المسلمين وأبرزهم. فكان عثمان أول من اسلم من بني أمية وعندما أعلن إسلامه أخذه عمه الحكم فأوثقه رباطاً وعذبه محاولاً إبعاده عن دينه[12] ولكنه صبر ولم يرتد.

لقد كان لقريش بما فيها بني أمية دوراً في إجبار الرسول ﷺ والمسلمين على الهجرة إلى المدينة، فقد حاصروه، وضيقوا عليه، بل وحاولوا قتله. ولما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة، وقام بتأسيس الدولة الإسلامية، وبدأ بنشر الإسلام والمحاربة من اجله، فبدأ بإرسال السرايا ففي السنة (2 هـ/624م) بلغ الرسول ﷺ أن أبا سفيان اقبل من الشام في عير لقريش فخرج في طلبه[13] وكان هذا في شهر رمضان. فوقعت غزوة بدر وانتهت هذه الغزوة بانتصار حاسم للمسلمين ومقتل عدد من زعماء بني أمية أمثال عتبة وشيبة ابنا ربيعه، ومن الجدير ذكره أن علاقات بني أمية الذين بقوا على الشرك مع الذين اسلموا لم تؤثر على سير الدعوة الإسلامية، بل ساعدتها على الانتشار فلقد كان لمن اسلم من بني أمية دوراً كبيراً في خدمة الإسلام فكان أول لواء عقده الرسول ﷺ في الإسلام لعبد الله بن جحش حليف بني أمية[14] وكذلك فقد تزوج عثمان بن عفان -وهو من أوائل المسلمين ومن كبار رجالات بني أمية- أم كلثوم بنت الرسولﷺ ولما توفيت تزوج أختها رقية[15].

وفي السنة السادسة للهجرة اسلم عمرو بن العاص بن الحكم بن أمية بن عبد شمس وهو من كبار زعماء قريش وبني أمية وحسن إسلامه،[16] وخدم الإسلام والمسلمين، وفي نفس السنة – السادسة للهجرة – استشهد عدد من موالي بني أمية في غزوة خيبر مثل ربيعة بن اكثم بن شجرة بن أسد حليف بني أمية،[17] وفي السنة السابعة للهجرة بعث الرسول ﷺ عمرو بن العاص في سرية إلى ذات السلاسل. وفي نفس السنة (السابعة للهجرة) قدمت إلى المدينة أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنها وهي سيدة أموية جليلة أسلمت وحسن إسلامها وتزوجها الرسول ﷺ وهي من النساء الأوائل في الإسلام، وقد هاجرت إلى الحبشة مع زوجها قبل أن يتزوجها الرسولﷺ[18].

ويبدو مما تقدم بأنه كان لبني أمية في بداية الدعوة الإسلامية مسارين الأول: معادي للدعوة الإسلامية وتمثل في مواقف زعماء قريش ومنهم نفر من بني أمية أمثال أبو سفيان بن حرب بن أمية، وعقبة بن أبي معيط، وصفوان بن أمية، وهو الذي اعتدى على حلفاء الرسول ﷺ قبل فتح مكة.

والمسار الثاني: مؤيد للدعوة الإسلامية وتمثل في دخول أعداد من بني أمية في الإسلام، مثل عثمان بن عفان ﷺ، والذي انفق معظم ماله في سبيل الله حتى انه شارك في تجهيز الجيوش.

- دور بني أمية السياسي من فتح مكة وحتى وفاة الرسول ﷺ (8-11هـ/ 629-632م).

يبدأ الدور الأموي بشكل فعال بإسلام زعيمهم أبو سفيان بن حرب بن أمية فتذكر المصادر[19] بأن أبا سفيان قدم على الرسول ﷺ، من اجل تجديد العهد الذي كتبه في

صلح الحديبية، إلا أن الرسول ﷺ اعرض عنه. فرجع إلى قومه دون أن يجدد العهد فبعثه قومه مرة أخرى ليتحسس الأخبار فلما رأى نيران المسلمين وعظمة جيشهم أفزعه ذلك، وكان الرسول ﷺ قد استعمل على الحرس في تلك الليلة عمر بن الخطاب ﷺ، وقد سمع العباس بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ صوت أبي سفيان فقال: يا أبا حنظلة؟ فقال: لبيك فما وراءك؟ فقال العباس: هذا رسول الله ﷺ في عشرة آلاف، فاسلم، وقد أجاره العباس وخرج به وبصاحبيه وهما حكيم بن حزام، وبديل بن ورقاء[20]، حتى دخل بهم على الرسول ﷺ وقد اسلموا جميعاً، وعندما اسلم أبو سفيان قال للرسول ﷺ: "بابي أنت وأمي ما أوصلك واحلمك وأكرمك" وبعد ذلك خاطب الرسول ﷺ عمه العباس وقال له: "انصرف يا عباس فاحبسه عند خطم الجبل بمضيق الوادي حتى تمر عليه جنود الله" وقد شاهد أبو سفيان جيش المسلمين وكل الفرق المشاركة في فتح مكة وأذهله تنظيم فرق الجيش وخاصة الفرقة التي تضم المهاجرين والأنصار. وقد قال العباس بن عبد المطلب للرسول ﷺ بعد فتح مكة ودخولها سلماً دون مقاومة. يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر، فاجعل له شيئاً يكون في قومه فقال الرسول ﷺ : "نعم من دخل دار أبو سفيان فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن"[21]، وقد اسلم يوم الفتح جميع أهل مكة على اختلاف قبائلهم وفيهم زعماء بني أمية مثل عبد الله بن أبي السرح شقيق عثمان بن عفان في الرضاعة وصفوان بن أمية.

وقد وقف الرسول ﷺ من بني أمية وأهل مكة جميعاً الموقف الذي يتناسب مع خُلقه وعطفه، لا الموقف الذي يستحقونه لأنهم كانوا كفرة وعاندوا الرسول ﷺ ونصبوا له العداء والحرب، وعندما دخل الرسول ﷺ مكة صارت حياتهم ومصيرهم معلقة بكلمة من الرسول ﷺ ، فقال لهم: "يا معشر قريش ما ترون إني فاعل بكم؟ قالوا خيرًا، أخ كريم، وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فانتم الطلقاء" هذا هو موقف الرسول من أهل مكة بما فيهم بني أمية[22].

ويبدو أن من أهم أسباب الموقف العدائي الذي وقفه زعماء بني أمية من الإسلام في بداية أمره لم يكن مبعثه عداء بين الهاشميين والأمويين بل كان بسبب المنافسة على الشرف والسؤدد والزعامة في بيئة تقيم وزناً لمثل هذه الأمور. علماً بأن هذا الموقف العدائي الذي وقفه معظم بني أمية من الإسلام والرسول ﷺ شاركهم فيه الكثير من بطون قريش وكذلك شاركهم فيه عدد من بني هاشم أنفسهم.

كان النبي ﷺ يعرف قدر بني أمية فسر بإسلامهم وأعطى أبو سفيان ما لم يعطه لأحد فقد قال ﷺ يوم فتح مكة: "من دخل دار أبو سفيان فهو آمن" وفيما بعد استعمل أبو سفيان على نجران استجابة لطلبه[23]، واستخدم ابنه معاوية كاتباً للوحي[24]. وكان أول والٍ على مكة بعد فتحها رجلاً من بني أمية وهو عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس[25].

ويروي ابن إسحاق (ت151هـ/768م) عن زيد بن اسلم أنه قال: "لما استعمل النبي

ﷺ عقاب بن أسيد على مكة رزقه كل يوم درهماً"[26] واستعمل الرسول ﷺ عمرو بن سعيد بن العاص على قرى خيبر، ووادي القرى، وتيماء، وتبوك[27]، وتوفي الرسول ﷺ وعمرو عليها[28]، واستعمل الرسول أيضا الحكم بن سعيد بن العاص على سوق مكة[29]، وخالد بن سعيد بن العاص على صنعاء وأبان بن سعيد على البحرين وتوفى الرسول ﷺ وهو عليها، وكان عمرو بن العاص على عُمان[30].

كما أن أبان وخالد ابنا سعيد بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان إضافة لعثمان بن عفان هم من جملة كتاب الوحى، وعندما توفى الرسول ﷺ كان معظم رجالات بني أمية على مختلف الأعمال من الولاية والكتابة وجباية الأموال[31].

- دور بني أمية السياسي في خلافة أبي بكر الصديق ﷺ (11-13هـ/632-634م).

لم يشارك بني أمية في اجتماع السقيفة ولم يتدخلوا في مجريات اختيار خليفة الرسول ﷺ ولم تكن لهم مشاركة في بداية تكوين الدولة بصورة أساسية ويبدو أن سبب ذلك أنهم اسلموا متأخرين.

عندما تولى أبو بكر الصديق ﷺ خلافة المسلمين سار على منهج الرسول ﷺ في استعمال بني أمية والاستعانة بهم في جميع شئون الدولة، وقد استجاب من اسلم من بني أمية وناصروه وفضلوا الجهاد في سبيل الله على القيام بالأعمال الإدارية فالذهبي (ت748هـ/1347م) يقول: "إن عمرو بن سعيد بن الأشدق حدث أن أعمامه خالدا، وأبانا، وعمرًا رجعوا من أعمالهم حين بلغهم موت رسول الله ﷺ فقال أبو بكر: ما أحد أحق بالعمل من عمال رسول الله ﷺ ارجعوا لأعمالكم، فأبوا وخرجوا للشام"[32]. وعندما عزم أبو بكر الصديق ﷺ على فتح الشام عقد لواء من الألوية الأربعة الرئيسية لقائدان من بني أمية هما: يزيد بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص مثلهم مثل كبار الصحابة، أبي عبيدة عامر ابن الجراح وشرحبيل بن حسنة وعن ذلك يقول خليفة بن الخياط (ت240هـ854م): "... يزيد بن أبي سفيان احد الأفراد الأربعة الذين ندبهم أبو بكر لغزو الروم، عقد له أبو بكر ومشى تحت ركابه يسايره ويودعه ويوصيه وما ذلك إلا لشرفه وكمال دينه"[33].

أما عمرو بن العاص، فقد بعثه أبو بكر الصديق ﷺ لفتح فلسطين، فيورد خليفة بن خياط (ت240هـ/854م) قول محمد بن إسحاق (ت151هـ/768م) عن ذلك بقوله: "وكتب أبو بكر، إلى خالد بن الوليد، فسار إلى الشام، فأغار على غسان بمرج راهط، ثم سار فنزل على قناة بصرى، وقدم عليه يزيد، وأبو عبيدة عامر بن الجراح، وشرحبيل بن حسنة، فصالحت، وبعد فتحها ساروا نحو فلسطين، فالتقوا باجنادين بين الرملة وبيت جبريل، ويقال أن عمرو بن العاص كان قائدا على الجيوش الأربعة وانتصر المسلمون في معركة اجنادين سنة (13هـ/634م) واستشهد في هذه المعركة من بني أمية أبان بن

سعيد بن العاص"[34]؛ وكذلك استشهد في معركة مرج الصفر (سنة 13هـ634م) من بني أمية خالد بن سعيد بن العاص[35].

أما أبو سفيان فقد كبر سنه، ولم يقوا على القتال، ومع ذلك لم يتخلف عن الفتوح، فقد صاحب الجيوش وكان يحرض على الجهاد والثبات في سبيل الله فكان يسير في جيش اليرموك فيقف على الكراديس ويقول: الله الله إنكم ذادة العرب وأنصار الإسلام اللهم إن هذا يوم من أيامك اللهم انزل نصرك على عبادك"[36].

وعندما قدم خالد بن الوليد من العراق لقيادة جيش المسلمين في معركة اليرموك كان عسكر أبي عبيدة مجاور لعسكر عمرو بن العاص، وعسكر شرحبيل بن حسنة مجاور لعسكر يزيد بن أبي سفيان[37]، فجمع خالد الجيوش، وصلى فيهم وحثهم على التعاون، وقسم الجيش فجعل القلب كراديس، وأقام فيه أبا عبيدة، وجعل الميسرة كراديس، وعليها يزيد بن أبي سفيان، وعلى كردوس أهل العراق، القعقاع بن عمرو التميمي، وصفوان بن أمية، على كردوس، وسعيد بن خالد على كردوس، وكان عدد الكراديس ستة وثلاثين كردوساً[38].

ويبدو مما تقدم أنه كان لبني أمية دور فعال في معركة اليرموك، وهي معركة تاريخية انتصر فيها المسلمون، وعلى أثرها فتحت بلاد الشام. وفي معركة اليرموك شاركت نساء بني أمية بجانب الرجال، ومن أشهرهن، خولة بنت الازور، وجورية بنت أبي سفيان[39]، وكذلك يتضح مما تقدم أن أبو سفيان وهو شيخ بني أمية، قد شارك بصورة فعالة في فتوح الشام، كما أن ولديه يزيد، ومعاوية كان لهما دور حاسم في فتوح الشام. واستمر الأمويون يعملون في عهد أبي بكر مجاهدين في سبيل الله مفضلين ميادين القتال على الأعمال الإدارية وكان أبو بكر قد أمّر عتاب بن أسيد على مكة، وعمرو بن أبي العاص على الطائف[40].

ـ دور بني أمية السياسي في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ (13-23هـ/634-643م)

توفي الخليفة أبو بكر الصديق ﷺ في جمادى الآخرة (سنة 13هـ) وبويع عمر بن الخطاب ﷺ بالخلافة على المسلمين وكان أبو بكر قد عين عمر خليفة للمسلمين بعد مشورة المسلمين في ذلك فسار عمر بن الخطاب على نهج أبي بكر في استعمال بني أمية، ولم يعزل أحدا منهم عن عمل، ونعرف مدى صلابة عمر وتحريه أمر ولاته، وعماله، وتقصيه أعمالهم، وأخبارهم، ومحاسبتهم بكل دقة، فقد أبقى يزيد بن أبي سفيان والياً على دمشق، وزاد عمر بن الخطاب، في عمل معاوية بن أبي سفيان بالشام، فقد كان والياً على مدن الساحل السوري، زمن أبي بكر الصديق، فأضاف إليه عمر ولاية حمص[41]. وكان لمعاوية بن أبي سفيان دور هام وحاسم في فتوح سواحل الشام فقد كان متحمساً لفتح السواحل وحمايتها. فقد أبلى بلاءًا حسناً في فتح

مدن الساحل مثل عكا، صور، قيسارية[42]، وفي سنة (15هـ/636م) ولى عمر بن الخطاب عثمان بن أبي العاص على ارض عُمان والبحرين[43]. فسار إلى عُمان، ووجه أخاه الحكم بن أبي العاص إلى البحرين، وعندما مات يزيد بن أبي سفيان في طاعون عمواس سنة (18هـ/639م) أقر عمر بن الخطاب معاوية على أعمال يزيد وهي ولاية دمشق.

وقال عمر بن الخطاب لأبي سفيان معزياً: "أحسن الله في يزيد رحمة الله فقال أبو سفيان: من وليت مكانه؟ قال: أخاه معاوية فقال أبو سفيان: وصلتك رحم يا أمير المؤمنين"[44]، وكتب أبو سفيان لابنه معاوية يوصيه: "يا بني إن هؤلاء الرهط من المهاجرين، سبقونا وتأخرنا فرفعهم سبقهم وقدمهم عند الله ورسوله، وقصر بنا تأخيرنا، فصاروا قادة، وسادة، وصرنا أتباعا، وقد ولوك، جسيماً من أمورهم فلا تخالفهم"[45].

- ولاية معاوية للشام زمن عمر بن الخطاب ﷺ .

لقد أحسن معاوية وأجاد في ولايته وكان موضع ثقة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ وناهيك بمن يرضى عمر على شدته وصلابته فابن كثير (ت774هـ/1272م) يقول: "لما قدم عمر بن الخطاب الشام بناء على طلب أهل القدس تلقاه معاوية في موكب عظيم فلما دنا منه عمر قال له: أنت صاحب الموكب؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين قال: عمر هذا حالك مع ما بلغني من وقوف أصحاب الحاجات ببابك قال معاوية: هو ما بلغك من ذلك. قال عمر: ولم تفعل هذا؟ لقد هممت أن آمرك بالمشي حافياً إلى بلاد الحجاز. قال معاوية: أنا بأرض جواسيس العدد فيها كثيرة فيجب أن نظهر من عز السلطان ما يكون فيه للإسلام عز فإن أمرتني فعلت وإن نهيتني انتهيت. فقال له عمر: لا آمرك ولا أنهاك. فقال عبد الرحمن بن عوف وكان حاضرًا: يا أمير المؤمنين ما أحسن ما صدر الفتى عما أورده فيه؟ فقال عمر: لحسن موارده ومصادره جشمناه ما جشمناها"[46] وهذه الرواية تبين عبقرية معاوية في إدارة ولاية الشام، وفي حسن الرد على أمير المؤمنين، هذا وقد كتب عمر بن الخطاب العهدة العمرية لأهل القدس، واشهد عليها معاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، وعبد الرحمن بن عوف، وكان عمر بن الخطاب قد عزل صحابياً، وهو عمير بن سعد، عن أعمال كان يتولاها في الشام، وأضافها إلى معاوية بن أبي سفيان، ولم يعزل عمر هذا الصحابي لخيانة، وإنما كان يريد شخصاً قوياً حازماً، واتبع معاوية في إدارته للشام الحزم والقوة[47]. وقد استعمل عمر بن الخطاب ﷺ رجلاً آخرا من بني أمية، وهو الوليد بن عقبة بن أبي معيط. فالطبري (ت310هـ/922م) يذكر في حوادث سنة (15هـ/636م): ".. أن الوليد كان أميرا على بلاد تغلب، وعرب الجزيرة، يحمي ظهور المجاهدين في شمال الشام من خطر الروم"[48].

وفي سنة (20هـ/641م) كتب عمر بن الخطاب ﷺ إلى عمرو بن العاص، أن يسير إلى مصر، فسار وبعث له الزبير بن العوام مدداً، ومعه عمير بن وهب الجمحي، ويسر بن ارطأة العمري، وخارجة بن حذافة السهمي حتى أتى بابليون (باب اليون) فافتتحهما عنوة، وصالح أهل الحصن، وكان عمرو بن العاص قد كتب لأمير المؤمنين بذلك[49].

وفي سنة (21هـ/642م) فتح عمرو بن العاص الإسكندرية[50] وتابع فتوحاته نحو افريقية فافتتح اطرابلس – طرابلس – صلحاً. ويقول خليفة بن خياط (ت 240هـ/854م): "حدثني الوليد عن أبيه، وعمه، وجده، أن عمرو بن العاص افتتح الإسكندرية ثم أتى لبلدة من ارض اطرابلس – طرابلس – فافتتحها فرجع سنة (24هـ/645م)"[51] وبقي عمرو بن العاص والياً على مصر حتى وفاة عمر بن الخطاب ﷺ [52].

ويبدو مما تقدم أن الدور الأموي في زمن الخليفة عمر بن الخطاب كان واضحاً وهاماً فقد قام الأمويين بأهم الفتوح، فتوحات (الشام، ومصر) وكانوا من خيرة عمال عمر، وبالرغم من كثرة محاسبة عمر بن الخطاب للولاة والعمال، فقد استمر معاوية في الشام، مواجهاً الروم، مدافعاً عن الثغور، والسواحل، مرضياً عنه عند الرعية والخليفة، وكان عمرو بن العاص يشابه معاوية، فقام بفتح مصر، الإسكندرية، برقة، طرابلس والابتداء بفتح افريقية فوطد الأمن وقام بنشر الإسلام.

- دور بني أمية السياسي خلال فترة خلافة عثمان بن عفان ﷺ (23-34هـ/643-655م).

نصل الآن إلى قمة دور بني أمية السياسي في صدر الإسلام حين نال احد أفراد البيت الأموي منصب الخلافة وهو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف.

وأمه أروى بنت كريز بن حبيب بن ربيعة بن عبد شمس وأمها البيضاء أم حكيم بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف[53].

وقد تولى عثمان بن عفان ﷺ الخلافة بعد أن حصل على دعم وموافقة المرشحين الستة، ولم يكن لعشيرته أي دور في ذلك الترشيح ولا في عملية الاختيار والبيعة الخاصة، فقد حُصر الأمر في المرشحين الستة. ليختاروا واحداً من بينهم ولما بايعه أهل الشورى بايعه المسلمون الموجودون داخل المدينة من صحابه، وتابعين، ولم يتخلف عن بيعته احد[54]، ولعثمان بن عفان ﷺ دور وفضل عظيم في الإسلام فقد كان أول من هاجر من المسلمين إلى الحبشة بأهله وهو الذي جهز جيش العسرة وحفر بئر رومة للمسلمين ليشربوا منه، فقد اخرج الحاكم عن أبي هريرة قال: "اشترى عثمان الجنة من النبي ﷺ مرتين حين حفر بئر رومة وحين جهز جيش

العسرة"[55]، وقد اخرج ابن عساكر عن زيد بن ثابت قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "مر بي عثمان وعندي ملك من الملائكة. فقال: شهيد يقتله قومه إنّا نستحي منه"[56].

وقد كان الحياء من خلق عثمان بن عفان ﷺ ، وهو من المبشرين بالجنة أما علاقة عثمان بالرسول ﷺ فهي علاقة مبكرة فهو من الأوائل في الإسلام وتربطه بالرسول ﷺ علاقة المصاهرة فقد تزوج أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ ولما توفيت تزوج أختها رقية وكان من المقربين للرسول الكريم ﷺ [57].

- الولايات في عهد عثمان بن عفان ﷺ .

قبل البدء بالحديث عن ولاة عثمان وعن علاقته بقومه لا بد من طرح الأسئلة الآتية:

1. هل مكن عثمان بن عفان لقومه في الدولة الإسلامية؟
2. هل مهد لقيام الدولة الأموية كما يقول سيد قطب أحد كبار المفكرين في العصر الحديث[58]؟

هذه الأسئلة سيجاب عليها من خلال ما سنورده عن الولايات في عهد عثمان ونبدأ بالحديث عن ولاية مصر وهى من أهم وأغنى ولايات الدولة الإسلامية وكان يحكم ولاية مصر في بداية عهد عثمان أميرين قريبين لعثمان بن عفان هما عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي السرح وهو شقيق عثمان بالرضاعة[59] ويقول ابن عبد الحكم (ت257هـ/870م) في ذلك: "توفي عمر بن الخطاب ومصر على أميرين عمرو بن العاص بأسفل الأرض وعبد الله بن أبي السرح على الصعيد"[60] ولما تولى عثمان أبقى الأمر على ما كان عليه وفي أثناء ولاية عمرو بن العاص انتفض أهل الإسكندرية فغزاهم عمرو وهو أمير على مصر فقتل وسبى ورد عثمان بن عفان السبي إلى ذمتهم[61]. وكان عمرو بن العاص قد افتتح مصر كلها عنوة ألا عين شمس[62]، وفي سنة (27هـ/648م) عزل عثمان بن عفان عمرو بن العاص عن مصر وولاها عبد الله بن أبي السرح[63] وسبب ذلك كما يورد ابن عبد الحكم (ت257هـ/870م): "أن عمرو بن العاص طلب مصر كلها وان يعزل عبد الله بن أبي السرح فأبى عثمان واستعفاه عمرو بن العاص. فأعفاه عثمان من ولاية مصر كلها"[64].

بقي عبد الله بن أبي السرح أميراً على مصر حتى استشهاد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ وفي نفس السنة (27هـ/648م) غزا عبد الله بن أبي السرح افريقية ومعه عبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن جعفر، وانتصروا على جرجير ملك البربر[65]، وواصل ابن أبي السرح فتوحه في افريقية وحاول تثبيت الإسلام في

برقة وطرابلس، وفي سنة (33هـ654م) غزا ابن أبي السرح الحبشة[66]، أما أهم غزوات عبد الله بن أبي السرح فكانت معركة ذات الصواري وهي أول معركة بحرية في الإسلام وحصلت في عام (34هـ/655م)[67]، ويذكر طه حسين في كتابه (الفتنة الكبرى) أن عثمان بن عفان كان يرشح أخاه بالرضاعة عبد الله بن أبي السرح لأمر عظيم وان هذا الأمر العظيم هو ولاية مصر التي انتزعها من عمرو بن العاص وأعطاها لأخيه[68].

ويبدو أن عمرو بن العاص أحق بالولاية من عبد الله بن أبي السرح للأسباب الآتية:

1. لأنه اسبق في الإسلام من عبد الله بن أبي السرح.
2. لدوره الكبير في فتوح الشام.
3. لقرابته من عثمان من جانب النسب.
4. لان عبد الله بن أبي السرح تأخر في الإسلام. فقد اسلم قبل الفتح، وكان كاتباً للوحي، فارتد عن الإسلام ورجع إلى مكة وعندما فتح الرسول ﷺ مكة عام 8هـ، كان دمه مهدورا، إلا أن الرسول ﷺ عفا عنه عندما عفا عن أهل مكة.

- ولاية الكوفة:

في سنة (25هـ/646م) عزل عثمان بن عفان سعد بن مالك عن الكوفة وولاها الوليد بن عقبة بن أبي معيط وهو من بني أمية[69]. ولولاية الكوفة أهمية في حركة الفتوحات الإسلامية نحو المشرق وكونها مركزًا للفتوحات الإسلامية ومركز للجند والقبائل العربية المهاجرة. هذا وقد كانت ولاية الوليد على الكوفة من أسباب الضعف على عثمان والشغب عليه فاتُّهم بأن عثمان ولى أقرباءه وترك كبار الصحابة[70].

لذلك شغب أهل الكوفة على أميرهم الوليد بن عقبة واتهموه بأقبح التهم، فاقتحموا عليه بيته واتهموه بشرب الخمر، وقد حلف أنه لم يشرب فشهدوا ضده وأمر عثمان بن عفان سعيد بن العاص بجلده. بعد عزله عن الكوفة وولى مكانه سعيد بن العاص[71].

وبدأ سعيد بن العاص ولايته بتحذير الناس من مظاهر الفتنة والخروج عن أمر الخليفة وتوعد أهل الكوفة بالقمع والعقاب إذا شغبوا وكتب إلى الخليفة يوضح خطورة الوضع في الكوفة[72].

وكان عثمان قد دعا سعيد إلى تفضيل النخبة الإسلامية وأصبح سعيد لا يجالس إلا وجوه أهل الأيام وأهل القادسية وقراء الكوفة، وطلب من هذه الشخصيات أن

تكون وسيطة بينه وبين الرعية (أهل الكوفة)، ومع ذلك فقد بدأت الفتنة بالظهور فيقول سيف بن عمر: "فكأنما كانت الكوفة يبسا شملته النار وفشت القالة والإذاعة"[73].

ومع إتباع السياسة الجديدة ازدادت الهوة بين السابقين واللاحقين وهذه حصل بعد توقف حركة الفتوحات وزوال وارد الغنائم فبدأ أهل الأمصار بالاعتراض على إعطاء المدنية من فيئهم وكان مطلبهم توزيع فيء وارد كل مصر في داخله للمقاتلة من أهله باعتباره مال المسلمين بينما كان يعتبره الخليفة مال الله فضج أهل الكوفة بالشكوى من عثمان ومن عماله[74].

هذا وقد كان للأعراب والقبائل المهاجرة دور في إثارة الفتنة وعدم الاستقرار في الكوفة[75] ويذكر الطبري (ت310هـ/922م) في أحداث عام (33هـ/654م) عن رواية سيف بن عمر الضبي خبر المسيرين من أهل الكوفة وكهولها ومن وجوه أهل الأيام والقادسية وقراء الكوفة وكانوا يتشاجروا مع والي الكوفة سعيد بن العاص حول امتلاكه الصوافي وهو ما كان لآل كسرى على جانب الكوفة والفرات الغربي وكان سعيد بن العاص قد قال في ذلك: "إنما هذا السواد بستان قريش" ويروي الشعبي وأبو محنف رواية أدق تبين أن هدف أهل الكوفة الفتنة واخذ أموال أهل الذمة[76].

ونتيجة لهذه الأوضاع المختلفة كتب سعيد بن العاص إلى عثمان يشرح له الموقف في الكوفة، فجمع عثمان الناس في مسجد الرسول ﷺ ووضح لهم الأمر وأخبرهم بأن إذاعات السوء قد فشت في الكوفة واستشارهم فأجمعوا على أخذهم بالشدة[77].

ويبدو أن أحداث الكوفة تبين لنا نزعة القبائل البدوية في كره الحكم المركزي وعدم الرضا عن سيادة قريش.

- ولاية البصرة في عهد عثمان بن عفان ﷺ

أما البصرة فقد شاركت في حركة الفتوح التي شهدتها الجبهة الفارسية وهي من الولايات التي حدث فيها تغيير للولاة في عهد عثمان بن عفان فقد كان أبو موسى الأشعري واليا على البصرة من سنة (16–29هـ/637-650م) وهي فترة طويلة ويورد الطبري (310هـ/922م)[78] خبر خروج عدد من زعماء البصرة نحو المدينة بقيادة غيلان بن خرشه الضبي عام (29هـ/650م) وطالبوا الخليفة بعزل أبو موسى الأشعري من ولاية البصرة فاستجاب عثمان لمطلبهم وعزل أبو موسى الأشعري وعين مكانه عبد الله بن عامر بن حبيب بن عبد شمس بن مناف وهو من بني أمية[79] وهو ابن خال عثمان وأبوه عامر ابن عمة الرسول البيضاء بنت عبد المطلب وبقي عبد الله بن عامر واليا على البصرة حوالي ست سنوات (29–35هـ/650-656م) وهو أموي عكس أبو موسى الأشعري الذي لم يكن أمويًا، وكان من أهم انجازاته تصديه لكل محاولات

الانتفاض من جانب الفرس[80].

- ولاية الشام في عهد عثمان بن عفان ﷺ

توفي عمر بن الخطاب ﷺ ومعاوية بن أبي سفيان أميراً على الشام واستمر في ولايته طوال فترة حكم عثمان، وكان عمر بن الخطاب قد جمع لمعاوية الشام كلها[81]. وابتدأ معاوية ولايته بتحصين الثغور والسواحل فقام ببناء الأسطول الإسلامي بعد أن أخذ الإذن بذلك من الخليفة عثمان بن عفان، وبعد بناء الأسطول الإسلامي بدأ فتوحاته البحرية فغزا رودوس و ارواد وقبرص وجزر البحر المتوسط، وقام بتحصين المدن الساحلية مثل عكا، وصور، وقيساريه، وعلى الجهة الشمالية للدولة أوجد نظام الصوافي والشواتي وبنى الثغور على الأطراف المحاذية للدولة البيزنطية، وقام بتأسيس جيش قوي شديد الولاء لمعاوية، فكان معاوية متصديا للأعداء في الداخل والخارج، ساهرا على راحة الرعية ويسير ضمن سياسة داخلية مدروسة، تقوم على توحيد القبائل العربية في الشام بعيدا عن الفتنة والاضطرابات بحيث استفاد من مهارة وخبرة هذه القبائل في بناء ولايته التي كانت النواة للدولة الأموية وكان رفيقًا بأهل الشام مكرماً لهم كثير العطايا والهبات لهذا لم يشترك أهل الشام في أحداث الفتنة الكبرى بل ولم يجد عبد الله بن سبأ اليهودى ما يؤيده في هذه الولاية[82].

وكان لمعاوية بن أبي سفيان مبدأ في إدارة الدولة والتعامل مع الرعية يقوم على أن بينه وبين الرعية شعره إذا شدوها أرخاها وأن أرخوها شدها هذه هى سياسة المد والجزر التي اتبعها معاوية مع أهل الشام فجعلتهم يحبونه ويقدرونه وهناك من يرى أن طول ولاية معاوية للشام جعلت أهل الشام يقدروه ويحبوه فكانت مدة ولايته على الشام تزيد على عشرين سنة وهذه مدة طويلة. جعلت أهل الشام يتعودوا عليه وعلى سياسته[83].

- مواقف الصحابة من الفتنة الكبرى:

أثارت سياسة عثمان مواقف متباينة من جمهور الصحابة؛ حيث انتقدها بعضهم وأيدها البعض الآخر وفي مقدمة المنتقدين:

1. علي بن أبي طالب ﷺ فقد كان ينصح الخليفة ويحذره من تولية بعض أقاربه[84] إلا أن عثمان اخذ نصح علي على انه تحريض على حكمه[85].
2. أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقد انتقدت سياسة عثمان في مجال تعين أقاربه وحمايته لهم واتسم نقدها بالاستعتاب والاحتجاج والتحريض[86].

3. طلحة بن عبيد الله ﷺ فقد اعتبر من الشخصيات الرئيسية التي انتقدت سياسة عثمان فوصل نقده إلى مرحلة التأليف وكتابة الرسائل التحريضية[87].

4. عمرو بن العاص ﷺ فقد كان ينتقد عثمان ولعب دورًا تحريضيًا ضده ويعود هذا فيما يبدو بسبب عزل عثمان لعمرو بن العاص عن ولاية مصر. وكان عمرو بن العاص قد غادر المدينة متوجها نحو الشام[88].

أما أبرز الانتقادات التي وجهت لسياسة عثمان وكانت سبباً رئيسا في الفتنة، انتقادات أبو ذر الغفاري ﷺ، عمار بن ياسر ﷺ، وعبد الله بن مسعود ﷺ. في الجانب الآخر هناك من دافع عن عثمان مثل الشاعر حسان بن ثابت ﷺ، كعب بن مالك ﷺ، زيد بن ثابت ﷺ. إضافة لموقف معاوية بن أبي سفيان ﷺ فقد كان أكثر المؤيدين لسياسة عثمان[89].

بداية الأزمة:

بلغت الانتقادات ضد عثمان أوجها عام 34هـ؛ عندما كتب أهل المدينة لأهل الأمصار بالقدوم للمدينة ومقاتلة الخليفة، وجرت مراسلات بهذا الشأن واتهم فيها عمار بن ياسر، ومحمد بن أبي بكر، وعلي بن أبي طالب بمراسلة أهل مصر[90]. إلا أن ابن قتيبة (ت276هـ/889م) والطبري (ت310هـ922م) نفوا ورفضوا هذه الاتهامات[91] ففي رجب قبل شوال من عام (34هـ/655م) خرج أهل مصر في قوة اختلف في تعدادها[92] يقودهم أربعة أمراء أبو عمر بن بديل بن ورقاء الخزاعي[93]، وعبد الرحمن البلوي، وعروة بن النباع الكناني، وغادروا على أساس أنهم متوجهين لأداء العمرة ويذكر الطبري أن عبد الله بن أبي السرح أرسل للخليفة بقدوم قوات مصرية.

أما أهل الكوفة فقد خرجوا في مئتي رجل يقودهم مالك بن الاشتر النخعي[94] وقيل خرجوا في القوة أربع فرق زيد بن صوجان، والأشتر النخعي، وزياد بن النضر، وعبد الله بن الأصم[95]. أما أهل البصرة فقد خرجوا في قوة من أربع فرق تراوح عددها في ستمائة ألف يقودهم حكيم بن جبلة العبدي وذريح العبدي وبشر بن شريح وكان أميرهم حرقوص بن زهير السعدي وجميع هذه القوات استقرت خارج المدينة المنورة[96].

حصار المدينة واستشهاد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ:

بعد أن استقرت القوات الخارجة على عثمان خارج المدينة بدأت الأحداث بالتسارع نحو الهاوية فأرسل أهل الأمصار وفود لمقابلة أهل المدينة ومقابلة أزواج الرسول ﷺ والصحابة، وأبلغوهم مطالبهم بالسماح لهم بالدخول نحو المدينة فرفض

أهل المدينة مطلبهم وغادروا إلى مخيماتهم وأظهروا الرجوع للأمصار إلا أن الوفود ما لبثت أن دخلت المدينة وسبب رجوع أهل الأمصار ودخولهم المدينة بصورة سريعة ادعائهم بأنهم ضبطوا كتابا مع غلام للخليفة عثمان فيه أوامر لعبد الله بن أبي السرح بقتل المشتركين في الفتنة من وفود مصر[97]. في هذه اللحظة وصلت الأمور لحد التأزم وعلى الفور أتهم أهل الأمصار عثمان بن عفان بإصدار هذا الكتاب وقد حلف عثمان بن عفان أنه لا يعلم من أمر هذا الكتاب شيئا. عندئذ اتهم أهل الأمصار مروان بن الحكم بإصدار هذا الكتاب وطالبوا بتسليم مروان لهم ليعاقبوه فرفض عثمان أشد الرفض عندئذ بدأ أهل الأمصار بحصار دار الخليفة.

وقد أوضح أهل الأمصار أن سياسة عثمان اللينة واحترامه وحبه للبيت الأموي وتعينهم على الأمصار ولاة. كانت سببًا في خروج أهل الأمصار ضد الخليفة أما أهل المدينة فكان موقفهم مقاربًا ومؤيدًا لمواقف أهل الأمصار خصوصا بعد ظهور أمر الكتاب الذي كان يحمله غلام الخليفة[98].

وهنا بدأ حصار أهل الأمصار للمدينة المنورة واستمر الخليفة بالإمامة بالصلاة إلا أن أهل الأمصار ما لبثوا أن منعوا عثمان من الصلاة بالناس وأقاموا بباب عثمان ليلا ونهارا[99].

وقد منع أهل الأمصار الطعام والشراب عن عثمان، وكان يشرب ماء مالحًا[100] وقد حذر عثمان بن عفان محاصريه من قتله لمخالفتهم تعاليم الإسلام لأنه لا يحل دم امرئ مسلم إلا في ثلاث، رجل كفر بعد إسلامه، رجل زنى وهو محصن، ورجل قتل نفسًا بغير نفس، بالإضافة إلى إن مقتل خليفة المسلمين يؤدي إلى تمزق الصف الإسلامي[101].

وفي هذه الأثناء كانت أم حبيبة ترسل الماء العذب لبيت الخليفة وقد دخل المحاصرين بيت الخليفة بعد طول قتال وحصار مع المدافعين عن البيت واستطاع المهاجمون الدخول لبيت الخليفة وقتلوه وهو صائما وكان جالس يقرأ القرآن تلبية لرؤيا وجه الرسول ﷺ له[102].

- رأي ابن خلدون في الفتنة وأسبابها:

يقول ابن خلدون (ت808هـ/1405م) في المقدمة: "العلة لم تكن بسبب ظلم وقع من الولاة ولو كانت هذه العلة لكان في عزل الولاة الذين كانت الشكوى منهم ما يسد تلك الذريعة. فقد عزل عثمان الوليد بن عقبة عن ولاية الكوفة وولى مكانه سعيد بن العاص. ولما رفضوا سعيدا عين لهم من اختاروه وهو أبو موسى الأشعري. فلم يقنع الثائرون الذين أثاروا الفتنة وعكروا صفو الأمة الإسلامية بذلك. ولم يروا عوداً عن غيهم وفسادهم ولا عادوا إلى رشدهم وصوابهم"[103].

ويضيف ابن خلدون: "وكان أكثر العرب الذين نزلوا هذه الأمصار جفاه لم

يستكثروا من صحبة النبي ولا هذبتهم سيرته وآدابه ولا ارتضوا بخلقه ما كان فيهم في الجاهلية من الجفاء والعصبية والتفاخر والبعد عن السكينة سكينة الإيمان وإذا بهم عند استفحال الدولة قد أصبحوا في ملكة المهاجرين والأنصار فاستنكفوا عن ذلك وغصوا به لما يرون لأنفسهم من التقدم بأنسابهم وكثرتهم ومصادقتهم للروم والفرس مثل قبائل بكر بن وائل، وعبد القيس بن ربيعة من قبائل كندة والأزد من اليمن. فصاروا إلى الغضب من قريش والأنفة عليهم والتحلل بالتظلم منهم والاستعداد عليهم"(104).

ويبدو أن ابن خلدون كان منطقيا وعمليا إلى حد كبير فالغيرة والحسد من قريش ومن بني أمية خاصة كانت سببا في إثارة الفتن وخصوصا من قبائل اليمن والعراق فهم يرون لأنفسهم مجدا غابرا وعليهم إرجاعه وربما كان هناك سبب آخر وهو العطاء فقد كان عطاء المهاجرين والأنصار وأصحاب الشواهد أكثر من عطائهم.

فهذه الأسباب يبدو أنها كانت وراء المؤامرة الكبرى ضد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ إضافة للدور الذي قام به عبد الله بن سبأ اليهودي في إشاعة الدس والتظلم من عثمان ومن بني أمية.

الخلاصة

تناولت هذه الدراسة دور بني أمية السياسي في صدر الإسلام من بداية الدعوة الإسلامية وحتى استشهاد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ، فتم إيضاح الدور الأموي بعيدا عن التحيز ففي العصر الجاهلي أي قبل البعثة النبوية كانت العلاقة بين أفراد قريش علاقة متينة لارتباط المصالح التجارية ولرابطة القرابة، وبعد إعلان بعثة الرسول ﷺ ظهرت الغيرة والحسد من قريش عامة وبني أمية خاصة للرسول ﷺ، وهذا لا يعني أن بني أمية لم يدخلوا الإسلام، فقد أسلم منهم العديد في بداية أمر الدعوة الإسلامية وكان لهم دور فعال في قيادة السرايا والغزوات للرسول ﷺ داخل الجزيرة العربية، وبعد فتح مكة دخل الناس في دين الله أفواجا، بما فيهم بني أمية، وبعد وفاة الرسول ﷺ، وتسلم أبو بكر خلافة المسلمين، بدأ دور جديد لبني أمية في خدمة الإسلام والمسلمين من خلال المشاركة في حروب الردة وفي حركة الفتوحات، وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، حاز أفراد كثر من بني أمية على ثقة الخليفة الجديد، فاستلموا ولايات قوية لها مكانتها، وفي حركة الفتوح أظهروا براعة في قيادة الجيوش وفي عملية الفتح، وفي عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ، يصل الدور الأموي إلى قمة الهرم السياسي، فهو الأموي الشهيد والمبشر بالجنة، فعثمان ﷺ، صاحب دور فعال ومؤثر في تطور الدعوة الإسلامية.

ففي عهده ازدادت مساحة الدولة الإسلامية، وتوسعت الفتوحات، فغزا المسلمين البحر لأول مرة في عهده، وتم بناء الأسطول الإسلامي، وفي نهاية عهد عثمان ﷺ بدأت الفتن والدسائس تدب في المجتمع الإسلامي، فظهرت الفتنة في بداية الأمر في الكوفة، ثم تأثرت البصرة بها، حتى انتشرت الفتنة في جميع البلاد، والأمصار الإسلامية، باستثناء الشام، لقوة معاوية ووفاء أهل الشام له، ووصلت الفتنة قمتها عندما جاء أهل الأمصار، ضمن جماعات كثيرة لمهاجمة وحصار المدينة المنورة، فقد طلبوا في بداية الأمر مقابلة وجوه أهل المدينة، ليكونوا وسطاء بينهم وبين الخليفة، ويبدو انه كان من الممكن إنهاء الفتنة لولا قبضة أهل الأمصار على غلام الخليفة حاملا رسالة لوالي مصر، مما جعل أهل الأمصار يقوموا بحصار بيت الخليفة عثمان بن عفان ﷺ ودخلوا عليه وقتلوه، فكان لمقتل الخليفة عثمان بن عفان ﷺ آثارا سلبية لا تزال الأمة الإسلامية تعاني منها إلى يومنا هذا.

الهوامش:

(1) محمد بن سعد بن منيع البصري (ت230هـ/844م)، الطبقات الكبرى، دار صادر ودار بيروت، بيروت، 1960، جـ1، ص75، (سيشار له فيما بعد ابن سعد، الطبقات).
(2) أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت213 أو 218هـ،821م او833م)، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم يادي، عبد الحفيظ شلبي، 1955م،ط1، جـ1، ص136، 137(سيشار له فيما بعد ابن هشام، السيرة النبوية).
(3) المصدر نفسه، جـ1، ص141.
(4) أبو الحسن احمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت279هـ/892م)، انساب الأشراف، تحقيق إحسان عباس، بيروت، ط1، 1979م، جـ1، ص61، (سيشار له فيما بعد البلاذري، انساب الأشراف).
(5) المصدر نفسه، جـ1، ص61.
(6) ابن هشام، السيرة النبوية، جـ1، ص201.
(7) ابن سعد، الطبقات، جـ1، ص200.
(8) المصدر نفسه، جـ1، ص201.
(9) القرآن الكريم، سورة الحجر، آية 89-93.
(10) جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت911هـ/1505م)، تفسير الجلالين، بيروت، لبنان، ص350، (سيشار له فيما بعد السيوطي، التفسير).
(11) المصدر نفسه، ص350.
(12) ابن سعد، الطبقات، جـ1، ص204.
(13) ابن هشام، السيرة النبوية، جـ2، ص263.
(14) أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة البصري (ت240هـ/854م)، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق مصطفى نجيب فواز وحكمت كشلي فواز، بيروت، لبنان، 1995، ص20، (سيشار له فيما بعد تاريخ خليفة بن خياط).
(15) المصدر نفسه، ص24.
(16) المصدر نفسه، ص25.
(17) المصدر نفسه، ص28.
(18) ابن هشام، السيرة النبوية، جـ4، ص272.
(19) المصدر نفسه، جـ4، ص20-22؛ ابن سعد، الطبقات، جـ1، ص134-135؛ تاريخ خليفة بن خياط، ص37.
(20) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت310هـ/922م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1962م، جـ3، ص52. (سيشار له فيما بعد الطبري، تاريخ).
(21) ابن سعد، الطبقات، جـ2، ص135؛ الطبري، تاريخ، جـ3، ص52.
(22) المصدر نفسه، جـ3، ص252، 253.
(23) أبو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان الذهبي (ت748هـ/1347م)، سير أعلام النبلاء، دون تحقيق، بيروت، دون تاريخ، جـ1، ص260، (سيشار له فيما بعد الذهبي، سير أعلام).
(24) المصدر نفسه، جـ1، ص261.
(25) المصدر نفسه، جـ1، ص261.

(26) المصدر نفسه، جـ1، ص262.
(27) المصدر نفسه، جـ1، ص270.
(28) تاريخ خليفة بن خياط، ص42.
(29) ابن هشام، السيرة النبوية، جـ4، ص96.
(30) تاريخ خليفة بن خياط، ص48.
(31) المصدر نفسه، ص49.
(32) الذهبي، سير أعلام، جـ1، ص262.
(33) تاريخ خليفة بن خياط ، ص62؛ الذهبي، سير أعلام، جـ1، ص308.
(34) تاريخ خليفة بن خياط ، ص63.
(35) المصدر نفسه، ص63.
(36) الطبري، تاريخ، جـ3، ص397.
(37) المصدر نفسه، جـ3، ص395.
(38) المصدر نفسه، جـ3، ص396، 397.
(39) المصدر نفسه، جـ3، ص401.
(40) تاريخ خليفة بن خياط، ص65.
(41) أبو الفداء إسماعيل ابن كثير (ت774هـ/1272م)، البداية والنهاية، ط1، بيروت، 1966، جـ8، ص22، (سيشار له فيما بعد ابن كثير، البداية والنهاية).
(42) أبو الحسن احمد بن يحيى البلاذري (ت279هـ892م)، فتوح البلدان، تحقيق رضوان محمد رضوان، بيروت، 1978، ص166، (سيشار له فيما بعد البلاذري، فتوح).
(43) تاريخ خليفة بن خياط ، ص173.
(44) ابن كثير، البداية والنهاية، جـ8، ص118.
(45)المصدر نفسه، جـ8، ص118.
(46) المصدر نفسه، جـ8، ص118.
(47) الطبري، تاريخ، جـ3، ص609.
(48) المصدر نفسه، جـ3، ص602.
(49) تاريخ خليفة بن خياط ، ص79.
(50) المصدر نفسه، ص85.
(51) المصدر نفسه، ص86.
(52) المصدر نفسه، ص86.
(53) المصدر نفسه، ص90،89.
(54) الحافظ جلال الدين السيوطي (ت911هـ/1505م)، تاريخ الخلفاء، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1988، ص121، (سيشار له فيما بعد السيوطي، تاريخ الخلفاء).
(55) الطبري، تاريخ، جـ4، ص227.
(56) المصدر نفسه، جـ4، ص227.
(57) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص121.
(58) سيد قطب، العدالة الاجتماعية في الإسلام، القاهرة، 1954، ص194، (سيشار له فيما بعد سيد قطب، العدالة الاجتماعية).

(59) أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم (ت257هـ/870م)، فتوح مصر وأخبارها، تحقيق محمد صبيح، دار التعاون للطباعة والنشر، القاهرة، 1974، ص118، (سيشار له فيما بعد ابن عبد الحكم فتوح مصر).
(60) المصدر نفسه، ص118؛ الطبري، تاريخ، جـ4، ص241.
(61) تاريخ خليفة بن خياط، ص91.
(62) المصدر نفسه، ص91.
(63) المصدر نفسه، ص92.
(64) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص118، 192.
(65) تاريخ خليفة بن خياط، ص92.
(66) المصدر نفسه، ص98.
(67) ابن كثير، البداية والنهاية، جـ7. ص163.
(68) طه حسين، الفتنة الكبرى، دار المعارف، القاهرة، 1961، ص122، (سيشار له فيما بعد طه حسين، الفتنة الكبرى).
(69) تاريخ خليفة بن خياط، ص82.
(70) الطبري، تاريخ، جـ4، ص244؛ طه حسين، الفتنة الكبرى، ص98، 99.
(71) الطبري، تاريخ، جـ4، ص279.
(72) المصدر نفسه، جـ4، ص278؛ طه حسين، الفتنة الكبرى، ص98، 100.
(73) الطبري، تاريخ، جـ4، ص279؛ عدنان ملحم، المؤرخون العرب والفتنة الكبرى، بيروت، 1996، ص136، (سيشار له فيما بعد ملحم، المؤرخون العرب).
(74) عبد العزيز الدوري، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، بيروت، 1987، ص15.
(75) الطبري تاريخ، جـ4، ص278.
(76) المصدر نفسه، جـ4، ص280-300.
(77) المصدر نفسه، جـ4، ص280-300.
(78) المصدر نفسه، جـ4، ص301.
(79) تاريخ خليفة بن خياط، ص161؛ الطبري، تاريخ، جـ4، ص264، 265.
(80) المصدر نفسه، جـ4، ص264.
(81) تاريخ خليفة بن خياط ، ص89.
(82) المصدر نفسه، ص89.
(83) المصدر نفسه، ص89، 90.
(84) الطبري، تاريخ، جـ4، ص337-339.
(85) أبو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت276هـ/889م)، الإمامة والسياسة، الطبعة الأخيرة، القاهرة، 1966، جـ1، ص33، 34، (سيشار له فيما بعد ابن قتيبة، الإمامة والسياسة)؛ الطبري، تاريخ، جـ4، ص490.
(86) المصدر نفسه، جـ1، ص71.
(87) المصدر نفسه، جـ1، ص72؛ الطبري، تاريخ، جـ4، ص490.
(88) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، جـ1، ص72، 73.
(89) المصدر نفسه، جـ1، ص73، 74.

(90) أبو يعقوب إسحاق بن جعفر، المعروف باليعقوبي (ت284هـ/897م)، تاريخ اليعقوبي، بيروت، دار صادر ودار بيروت، جـ2، ص174، 175، (سيشار له فيما بعد تاريخ اليعقوبي).
(91) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، جـ1، ص32؛ الطبري، تاريخ، جـ4، ص356.
(92) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، جـ1، ص99؛ الطبري، تاريخ، جـ4، ص592.
(93) المصدر نفسه، جـ4، ص550.
(94) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، جـ1، ص39.
(95) المصدر نفسه، جـ1، ص39.
(96) المصدر نفسه، جـ1، ص39؛ الطبري، تاريخ، جـ4، ص349.
(97) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، جـ1، ص38؛ عدنان ملحم، المؤرخون العرب، ص150.
(98) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، جـ1، ص41؛ الطبري، تاريخ، جـ4، ص351.
(99) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، جـ1، ص38؛ الطبري، تاريخ، جـ4، ص353.
(100) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، جـ1، ص38.
(101) المصدر نفسه، جـ1، ص45؛ الطبري، جـ4، ص393.
(102) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، جـ1، ص45؛ الطبري، جـ4، ص272.
(103) أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت808هـ)، المقدمة، تحقيق علي عبد الواحد وافي، القاهرة، جـ2، ص620، (سيشار له فيما بعد ابن خلدون، المقدمة).
(104) المصدر نفسه، جـ2، ص620-621.